٩

تحت الحصار

النجاح هو القدرة على الانتقال من فشل إلى آخر بدون أن تفقد حماسك.

ونستون تشرشل

فى ٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣، اندلعت حرب يوم الغفران، أكثر الحروب الإسرائيلية قسوة وتكلفة من بعد قيامها. كانت المفاجأة مكتملة الأركان. فى هجوم متناسق ومتزامن، هرعت القوات السورية عبر هضبة الجولان وعبرت القوات المصرية قناة السويس فى أكثر أيام السنة اليهودية قداسة.

obeikandl.com

ساد الخوف من احتمال سحق قوات الهجوم لإسرائيل قبل أن تتمكن من استدعاء احتياطييها، وحينها سيكون الأوان قد فات. خيم الفزع وإحساس بالخطر الحقيقي، والموت، والدمار بظلاله الثقيلة.

وصعق ميلتشان عندما سمع أن معلمه وزير الدفاع موشيه ديان فى لحظة يأس وصف الموقف بأنه شفير تدمير الهيكل الثالث وأنه ينذر بنهاية دولة إسرائيل، إذ كانت خسائر إسرائيل غير مسبوقة، قُدِّرت بالآلاف فى النهاية، وبدا هذا جلياً فى خسائر قوات المدرعات والقوات الجوية.

وكردة فعل لهذا الموقف الرهيب، قامت رئيسة الوزراء جولدا مائير بتنشيط المرحلة الأولى من خيار شمشون. وتم تجهيز أسلحة إسرائيل النووية غير المعدّة للاستخدام، وأخطرت مائير الرئيس نيكسون أنه إن استمرت القوات العربية فى

obeikandl.com

التقدم بدون إعادة تزويد إسرائيل بالسلاح لتتمكن من الدفاع عن نفسها، لن يكون أمامها سوى اللجوء للخيار النووى لإيقاف هذا الهجوم. وبدون خيار شمشون وأولئك الذين جعلوه ممكناً، لم تكن إسرائيل لتنجو من كارثة ١٩٧٣ .

كانت الرسالة واضحة وصريحة لواشنطن، وتم تمريرها بسرية إلى الاتحاد السوفييتى، والذى أبلغ بها كلاً من مصر وسوريا، واللذين أمرا بدورهما بعدم تجاوز قواتهما لما وراء الخطوط الحمراء التى حددتها إسرائيل.

وأتاح التردد العربى - خاصة فوق هضبة الجولان - لإسرائيل الوقت لإعادة تعبئة قواتها الاحتياطية. وأمر الرئيس نيكسون بإعادة إمداد كامل للقوات الإسرائيلية بالرغم من اعتراض مستشاريه، بمن فيهم هنرى كسينجر وجيمس شليسينجر. ولم يقبل نيكسون ذلك الاعتراض وقال: دعونى أقلق بشأن السياسة.

obeikandl.com

سيكون رد الفعل واحداً سواء أرسلنا لهم ثلاث طائرات أو ثلاثمائة طائرة، أرسلوا إليهم أى شىء يمكنه الطيران".

وخلال أيام، كانت طائرات جالاكسى العملاقة، وهى أكبر ناقلات طائرات فى الأسطول الأمريكى، تغدو وتروح بلا توقف تقريباً على مطار بن جوريون، محملة بأنظمة الأسلحة والذخيرة، والتى أرسلت فى الحال إلى الجبهة.

وإذ تم إمدادها باحتياطى حديث ومعدات جديدة، بحيث غيرت إسرائيل وتيرة الحرب، وعبرت قناة السويس، وحاصرت الجيش الثالث المصرى، ووصلت حتى عمق ٦٣ ميلاً بالقرب من القاهرة. وفى الشمال استعادت القوات الإسرائيلية هضبة الجولان بأكملها وتعمقت حتى مشارف العاصمة السورية دمشق.

آنذاك هدد الاتحاد السوفييتى بالتدخل العسكرى نيابة عن حلفائه العرب. ورداً على ذلك، أمر الرئيس نيكسون بتشغيل نظام ديفكون ٣ لحماية الولايات المتحدة، ووضعت وحدات نووية فى ديفكون ٢، وهو أقصى مستوى للاستعداد وصلته القوات النووية أثناء الحرب الباردة. وأخيراً، صدر قرار بوقف إطلاق النار فى ٢٦ أكتوبر ١٩٧٣ .

كانت حرب يوم الغفران عسيرة على إسرائيل، وكشفت عن ضعف رهيب فى دفاعاتها. وكانت الصواريخ الأكثر فاعلية بالنسبة للجانب العربى هى صواريخ إيه تى ٣ ساغر السوفييتية المضادة للدبابات، والتى ثبت أن مداها أطول من الدبابات الإسرائيلية وكانت فاعلة فى ردع العديد من الهجمات المضادة الإسرائيلية. وسحقت الصواريخ الأرض/ جو الحرارية القوات الجوية الإسرائيلية التى قيل يوماً بأنها لا تُقهر، وحرمت قوات الميدان من الدعم الجوى المنخفض، والذى كانوا قد يعتبرونه من المسلمات.

وتم تبادل الاتهامات المضادة القاسية فى أنحاء المجتمع الإسرائيلى عندما وصف الجنود العائدون كيف كان الجيش المصرى أفضل إعداداً ومعدات، وكيف كانت قوات الدفاع الإسرائيلية غير جاهزة بالمرة لتلك الهجمة، وفهم ميلتشان أن إعادة بناء الجيش الإسرائيلى غدا أمراً ضرورياً. وفى البنتاجون، تم اعتبار خسائر إسرائيل المبدئية فشلاً فى أنظمة السلاح الغربية فى مقابل التكنولوجيا السوفييتية، وعزمت الولايات المتحدة على ألا يتكرر هذا الموقف.

وفى أعقاب الحرب، بدأت حملة محمومة غير مسبوقة لشراء السلاح لتحديث الجيش الإسرائيلى وإعادة تجهيزه. ومع انتهاء عام ١٩٧٣ القاسى، كانت الولايات المتحدة قد مولت إسرائيل بـ٩٧٢,٧ مليون دولار فى هيئة قروض، و١,٥ مليار دولار كمنحة لا ترد لشراء معدات عسكرية من شركات أمريكية.

وكانت تلك بداية برنامج معونة عسكرية ضخم مصمم لردع أعداء إسرائيل، ولضمان وتأمين التفوق العسكرى الإسرائيلى التكنولوجى النوعى طويل الأمد فى المنطقة، وغدت تلك سياسة أمريكية رسمية، ويخصص الكونجرس اعتمادات مالية سنوية لخدمة هذا الغرض.

وفجأة انهالت الأموال على إسرائيل أكثر من أى وقت مضى لشراء معدات الدفاع العسكرى من نفس نوعية الشركات التى يمثلها ميلتشان، والذى وجد نفسه فى محور جهود إعادة البناء بفضل هذه الظروف المؤسفة والتى أدت للحاجة لمثل تلك الأنظمة بداية.

وكان من أهم أولويات إسرائيل بعد الحرب تقوية قدراتها للدفاع الجوى. وكانت حتى ذلك الحين تعتمد فى الأغلب على صواريخ هوك العتيقة. واستحدث ميلتشان نظاماً جديداً، وهو صاروخ إم آى إم ٧٢ شابرال أرض/ جو.

وكانت شركة رايثيون تواقة لأن يثبت صاروخ شابرال فاعليته فى أرض المعركة، وأتاحت لها إسرائيل تلك الفرصة سريعاً. وبعد فترة وجيزة من استيعاب النظام، وفى ٤ مايو ١٩٧٤، أسقط صاروخ شابرال طائرة ميغ ١٧ كانت تحلق فوق هضبة الجولان.

ومجدداً كانت تلك أول عملية إصابة محققة لنظام أسلحة أمريكى، وعُدَّ هذا دليلاً آخر لدور إسرائيل كميدان تجارب رائد للمعدات العسكرية الغربية المتطورة. وسر ميلتشان بذلك.

من أولويات إسرائيل الأخرى فى أعقاب حرب يوم الغفران كانت الحاجة إلى إيجاد حل لرد الهجوم على الأرتال المدرعة سريعة التحرك فى شبه جزيرة سيناء وهضبة الجولان. وكان الحل هو مروحية كوبرا المضادة للدبابات والتى يمكن إرسالها خلال دقائق إلى مسرح العمليات.

وفَّرت منصة الكوبرا مزيداً من العمل لميلتشان، لأن الصاورخ الأساسى الذى كانت تطلقه هو إيه آى إم ٩ سايدوينذر، والذى تصنعه رايثيون. وكان كل صاروخ يتم إطلاقه يحتاج إلى بديل عنه.

وبالرغم من أن ميلتشان كان يصب تركيزه على المنصات والأسلحة الفضائية باهظة الثمن وعالية التقنية، التى تناسب القوات الميدانية الإسرائيلية. كان صاروخ ساغر السوفييتى نداء صحوة مميتة للقوات المدرعة الإسرائيلية أثناء حرب يوم الغفران، حيث أصاب كل الدبابات الإسرائيلية التى أطلق عليها تقريباً. ولم يكن له مثيل فى الترسانة الإسرائيلية ولم يكن هناك دفاع جاد ضده. وكان الرد هو صاروخ بى جى إم ٧١ الموجه المضاد للدبابات والذى أنتجته شركة رايثيون والذى أسموه تى أو دبليو، ويرمز لأنبوب الإطلاق ذى التعقب البصرى، ووصلة البيانات السلكية.

وحتى يومنا هذا يعد صاروخ تى أو دبليو أكثر صاروخ موجه مضاد للدبابات يستخدم فى العالم، وتكلفته ١٨٠ ألف دولار للصاروخ الواحد. وسرعان ما أصبح السلاح الرئيسى فى نظام سلاح إسرائيل المضاد للدبابات، وشكلت ألوية المشاة فصائل الـ«تى أو دبليو» وأسمتها أوريف، ولُقِبوا باسم صائدو الدبابات.

وفى عام ١٩٨٢، استخدمت إسرائيل صواريخ تى أو دبليو بشكل مدمر ضد القوات السورية فى لبنان، فى معركة شهيرة على المنحدرات الشرقية لجبل باروخ، إذ دمرت وحدة تى أو دبليو إسرائيلية مضادة للدبابات تعتلى سيارة جيب عشر دبابات سورية طراز تى ٧٢ فى ظرف دقائق بدون أية خسائر إسرائيلية. ومجدداً كان كل صاروخ تم إطلاقه يحتاج لبديل عنه عبر شركة ميلتشان بروس.

ومن الصواريخ الأخرى التى قدمها ميلتشان إلى جيش الدفاع الإسرائيلى كان صاروخ إم ٤٧ دراغون من إنتاج شركة رايثيون. وكان نظام أسلحة أرضياً مضاداً للدبابات موجهاً سلكياً، ويطلق بالتوجيه من أعلى الكتف، وله القدرة على هزيمة المركبات المدرعة، والخنادق المحصنة، ومخابئ الأسلحة الخرسانية، وأهداف أخرى منيعة.

بهذا، شكلت كل كتيبة مشاة إسرائيلية فرقة دراغون. وبلغت كلفة الصاروخ حوالى ١٣ ألف دولار، لكن كانت كلفة الصواريخ ذات أنظمة الهجوم الليلى ٥١ ألف دولار عن كل صاروخ. وكالمعتاد، كان كل صاروخ يتم إطلاقه فى التدريبات أو فى المعركة يستبدل من شركة ميلتشان بروس.

كان يتم تحديث كل الأنظمة التى يمكن تخيلها فى جيش الدفاع الإسرائيلى، على الأرض، أو فى البحر، وفى الجو، بواسطة شركات ميلتشان بتكنولوجيا جديدة. وعبر تلك العملية، تطور جيش الدفاع ليصبح من أهم القوات المقاتلة العصرية على هذا الكوكب. كانت أحدث معدات الرؤية الليلية، وأحدث القنابل الذكية والصواريخ

الموجهة، وأحدث الرادارات وأنظمة إلكترونيات الطيران، والتى لا يزال معظمها بالغ السرية حتى يومنا هذا، تتدفق كالأنهار إلى إسرائيل عبر شركات ميلتشان.

مولت العمولات المستحقة من تحديث ما بعد ١٩٧٣ وإعادة الإمداد حسابات إسرائيل السرية التى كان ميلتشان يخفيها بشركات واجهة، وبتزايد الربح، تزايدت قدرات إسرائيل الاستخباراتية عالمياً.

وبتوسعه فى صفقات الدفاع العسكرى، فهم أرنون أنه لكى تستمر شركته فى المضى قدماً على طريق النجاح والنفوذ، وممارسة العمل المربح، كان فى حاجة لتعيين جنرال متقاعد من جيش الدفاع الإسرائيلى. وكان الشخص الذى وجده هو الجنرال ذا السادسة والأربعين عاماً شلومو لاهات الملقب بشيتش. وكما تبين، فقد كان خياره محل ترحيب بأكثر مما تصور.

بعد شهور محدودة فقط من الانضمام للشركة، دعا ميلتشان لاهات لحضور مباراة لكرة السلة للمحترفين فى الدورى الأوروبى فى تل أبيب. وعندما دخلا الملعب فى طريقهما إلى مقصورة الشخصيات الهامة، تلقى لاهات تصفيقاً حاداً من الجمهور. إذ إن الإسرائيليين يحبون أبطالهم.

وفى تلك اللحظة التفت ميلتشان إلى الجنرال لاهات واقترح على سبيل المزاح أن يرشح نفسه فى منصب العمدة. وراقته الفكرة، وخلال شهور، دخل لاهات المعترك الانتخابى بعدما وعده ميلتشان بأن منصبه محفوظ فى حال خسرانه الانتخابات. ووافق ميلتشان أيضاً على تصميم استراتيجية حملته ودعمها مالياً. وفى فبراير عام ١٩٧٤ لم يفز لاهات بالانتخابات فحسب، بل وظل عمدة المدينة المحبوب لحوالى ٢٠ عاماً. وأثمرت جهود ميلتشان فى عالم السياسة للمرة الثانية.

أدى ظهور مطلب مُلح إضافى إلى استعجال تطور برنامج الأسلحة

الإسرائيلي غير التقليدي. لم يكن هناك ما يتوجب إخفاؤه، في أغسطس عام ١٩٧٤، وفي ذات الوقت تقريباً الذي أجبر فيه الرئيس الأمريكي نيكسون على الاستقالة وتولي السلطة نائب الرئيس جيرالد فورد، أصدر رئيس الاستخبارات الأمريكية سي آي إيه تقريراً يؤكد فيه أن إسرائيل لا تمتلك أسلحة نووية فحسب، بل وتعد موزعاً نشطاً للتكنولوجيا النووية إلى أصدقائها وحلفائها، مثل إيران وجنوب إفريقيا. جاء بمذكرة كولبي والتي كان عنوانها «تقييم استخباراتي خاص: مخاطر الانتشار النووي» وكان بالغ السرية، جاء به ما يلي:

"تساعد إسرائيل بنشاط عدداً من الدول لتطوير تكنولوجيا الأسلحة النووية، وفي حالة معينة تفعل ذلك في مقابل الحصول على اليورانيوم من أجل برنامجها النووي الخاص. وفي كل أنحاء إسرائيل تتواجد العديد من منشآت التصنيع مخصصة بشكل حصري تقريباً لتطوير صاروخ قادر على توصيل الرءوس النووية. تم إجراء تحسينات في إسرائيل على تصميمات الصاروخ الأصلية والتي تحصلوا عليها من فرنسا. ويشمل تقييمنا معرفة بصفقات حصول إسرائيل على كميات ضخمة من اليورانيوم، وبرنامجها المستمر لتخصيب اليورانيوم، وبرنامجها لتطوير أنظمة توصيل الأسلحة النووية. ولا نتوقع أن تستخدم إسرائيل الأسلحة النووية إلا إذ غدا وجودها في خطر. وبدون أدنى شك، فستستمر إسرائيل في تطوير تلك القدرات وتحسينها بصواريخ باليستية ذات مدى أطول، وبأنظمة خاصة بالطيران، وبمجموعة أشمل من الإمكانيات النووية".

عندما تلقى ريتشارد كيلي سميث أول قائمة أغراض من ميلتشان، فهم سريعاً ما كانت تركز عليه إسرائيل آنذاك. كانوا يريدون مكونات الصواريخ ذات الوقود الصلب، وأرادوا الحصول على تعليمات التصنيع وأي شيء آخر يمكن أن تطاله أيديهم.

كان من مزايا الصواريخ ذات الوقود الصلب أنها من الممكن تزويدها بالوقود مسبقاً لفترات طويلة، ويمكن إخراجها من مخبئها وإطلاقها فى الحال، قبل أن تُرصد وقبل أن تتخذ أى إجراءات مضادة.

لكن من ناحية أخرى فإن الصواريخ ذات الوقود السائل، تتطلب عملية تزويد بالوقود بطيئة على منصة الإطلاق قبل الإطلاق مباشرة، وهى عملية مستهلكة للوقت يمكن أن تكشف عملية الإطلاق مبكراً لتُتخذ الإجراءات المضادة.

وفى النهاية، فالوقود الصلب نفسه أكثر أماناً وأسهل فى التعامل معه عن الوقود السائل.

كانت صواريخ جيريكو الإسرائيلية ذات الرءوس النووية صلبة الوقود يمكن إطلاقها فى الحال إن لزم الأمر، وكان تطويرها وتحسينها يتم باستمرار. وتم تكليف كل من ميلتشان وسميث وشركة ميلكو بإمداد مشروع صاروخ جيريكو ٢ ذى تكلفة المليار دولار بالمواد اللازمة، ولعبا دوراً حيوياً فى الحصول على مكوناته بالغة الأهمية.

من أكثر الفترات غموضاً فى علاقة ميلتشان بسميث كانت تلك التى تلت استقالة سميث من شركة روكويل، بحجة التركيز الكلى على شركة ميلكو. وبدلاً من ذلك، قبل سيمث فجأة وظيفة لفترة وجيزة، ما بين فبراير ويونيو عام ١٩٧٤، مع مؤسسة مارتن ماييرتا فى الجانب الآخر من البلاد فى أورلاندو، فلوريدا، وترك أسرته فى كاليفورنيا.

ومارتن ماييرتا هو مصمم ومُصنّع نظام بيرشينغ للصواريخ النووية، وهو أول صاروخ باليستى نووى دافع متوسط المدى يستخدمه الجيش الأمريكى. سَعَت إسرائيل لشراء صاروخ بيرشينغ الجاهز من الولايات المتحدة كجزء من اتفاق وقف

إطلاق النار فى حرب يوم الغفران، لكن الولايات المتحدة لم توافق.

وبعد بضعة أعوام، وفى ٢٤ سبتمبر عام ١٩٧٥، واجه وزير الخارجية السوفييتى أندريه غروميكو وزير الخارجية الإسرائيلى ييجال عالون فى اجتماع فى الأمم المتحدة، وسأله عن سبب شعور إسرائيل باحتياجها للصواريخ متوسطة المدى. وكان عالون دبلوماسياً فلم يعط غروميكو إجابة مباشرة، والتى كان من المرجح أن تكون من أجل أن تستهدف موسكو لأهداف ردعية.

كان صاروخ بيرشينغ قد ظل فى الخدمة بأمريكا لحوالى ٣٠ عاماً وتم تحديثه عدة مرات. وفى عام ١٩٧٤ عندما هرع سميث ليقبل الوظيفة فى شركة مارتن ماييرتا، كانت الشركة تطور صاروخ بيرشينغ ٢، وهو أكثر تطوراً من ناحية المدى والدقة عن صاروخ بيرشينغ ١ . وسواء حدث ذلك بالصدفة أم لا، وبعد فترة وجيزة من فترة عمل سميث القصيرة الغامضة فى شركة مارتن ماييرتا، بدأت إسرائيل فجأة تخطو خطى واسعة فى تطوير برنامج صاروخ جيريكو ٢ مستخدمة تقنية مشابهة بشكل مثير للدهشة لتقنية صاروخ جيريكو ٢ .

والشىء اللافت أيضاً أنه لدى عودته إلى كاليفورنيا عقب فترة عمله القصيرة مع شركة مارتن ماييرتا، أصبح لدى سميث فجأة الاعتمادات المالية اللازمة لنقل عمليات شركة ميلكو من منزله إلى مكاتب جديدة فى هانتجتون بيتش، كاليفورنيا، والتى تلقب بسرف سيتى أو مدينة التزلج على الماء. ومن الواضح، أن فترة عمل سميث فى مارتن ماييرتا كانت مثمرة للغاية بالنسبة له، ولميلكو، ولإسرائيل. واجتاز سميث اختباره العصيب.

سمع ميلتشان لأول مرة بالكرايترون أثناء جولته فى مفاعل ديمونة النووى. والكرايترون عبارة عن أنابيب من الكاثود البارد معبأة بالغاز وهى رخيصة وبريئة

الشكل تستخدم كمفاتيح فائقة السرعة. يمكن استخدام الكرايترون لتشغيل مصابيح الفلاش الضخمة فى آلات تصوير الأوراق، والليزر، وأضواء الهبوط فى المطارات، والأجهزة العلمية فى العديد من المجالات من بينها المعدات الطبية. وحقيقة أن هذا الجهاز الصغير هو أكثر مفتاح تشغيل للقنبلة النووية فاعلية كانت من الأسرار المحكمة. وكانت هناك شركة وحيدة فى الولايات المتحدة تصنع هذا الجهاز، وهى إى جى آند جى فى ماستشوستس، وهى مؤسسة معنية بأكثر التكنولوجيات الحساسة لدى الحكومة الأمريكية. وكانت عمليات بيع الكرايترون وتوزيعها تراقب بعناية، خاصة فى أسواق الصادرات.

وفى صيف ١٩٧٥، أرسلت إسرائيل عبر ديبورا بن إسحاق مساعدة ميلتشان طلباً إلى سميث لشراء ٤٠٠ مفتاح كرايترون. وفى طلب الشراء وكالمعتاد، وضعت ديبورا اسم القطعة المطلوبة، والغرض من استخدامها، «مجسات استشعار المعدات عن بعد»، ووضعت اسم المستخدم النهائى وهو شركة رحوفوت إنسترومينتس ليميتد.

وتوصل سميث للمصنع، واشتراها بسعر ٧٥ دولار للوحدة، وتأكد من صحة متطلبات الترخيص الضرورية.، وكان المطلوب فى تلك الحالة هو ترخيص تصدير ذخائر من وزارة الخارجية الأمريكية. وكان قد أمن مثل تلك الرخص مرات عديدة فى الماضى. وفى ٣٠ أكتوبر عام ١٩٧٥ قدم لوزارة الخارجية الأمريكية طلباً باستصدار ترخيص ذخائر تقليدى لجلب الكرايترون. وبعد بضعة أيام، قدمت السفارة الأمريكية فى تل أبيب تحذيراً لوزارة الدفاع الإسرائيلية بخصوص محاولة شراء مفاتيح كرايترون.

ويزعم سميث أنه لم يكن على دراية بالرفض أو التحذير لإسرائيل بخصوص

هذا الشأن، حتى تلقى مكالمة من ديبورا لإلغاء الطلب. ولم يفكر سميث فى الأمر كثيراً ومضى فى عمله.

لكن الكرايترون ظل مكوناً مصيرياً لبرنامج السلاح النووى الإسرائيلى يجب اللجوء لبعض المحاولات الخطيرة لجلبه. وبطريقة ما، وخلف الكواليس، أجريت تحقيقات دبلوماسية أمريكية من قبل وزارة الخارجية ووزارة التجارة، ودفع الإسرائيليون بأنهم يحتاجون الكرايترون لأجل قائمة طويلة من الأغراض المدنية. وما أن حققوا تقدماً لدى واشنطن، أشاروا لبلومبيرغ بأن عليه إعادة المحاولة. وفى مارس ١٩٧٦، أضاف بلومبيرغ الكرايترون إلى قائمة المشتريات.

وقدم سميث طلباً لترخيص تصدير ذخائر لوزارة الخارجية مجدداً، ومجدداً تم رفض الطلب. وتم إلغاء الطلب. لكن فى تلك المرة رصدت السى آى إيه أنشطة ريتشارد كيلى سميث.

وقررت إسرائيل أن تغض الطرف عن أمر الكرايترون لفترة طويلة. وكان سميث قد نجح فى الوفاء بعدة طلبيات حساسة ولم يكن هناك جدوى من تعريض العميل لمزيد من المخاطر، على الأقل للفترة تلك. وبالنسبة لسميث، فقد كانت علاقته بميلتشان تمثل له كل شىء. فما يتجاوز ٨٠٪ من إجمالى مشاريع شركة ميلكو كانت تتم عبر شركة ميلتشان بروس. وشركات تابعة مثل هيلى تريدينغ ليمتد. وبالرغم من أن ميلكو كانت على الورق شركة متواضعة مكافحة، إلا أن سميث كان قد تعلم بعضاً من حيل المهنة، ومنها أن إظهار الأرباح، ليس مكسباً بالضرورة لكن من الأفضل بكثير أن تُظهر كثيراً من النفقات.

وكان سميث قد تملّك منزلين على الشاطئ فى هانتجتون بيتش وشقة فى كتالينا آيلاند. وانضم إلى نادى اليخت المحلى، وبحلول عام ١٩٧٧ وصل لدرجة

عضوية رئاسة نادى اليخوت. واشترى أيضاً مزرعة مساحتها ١٥٠ فداناً فى أوكلاهوما من والده. واستمتع بطيب الحياة.

وفى النهاية استقالت زوجته إيميلى من عملها كمعلمة وانضمت لشركة ميلكو كمديرة مكتب، وكانت مسئوليتها الأولى التواصل مع ديبورا بن إسحاق مساعدة ميلتشان. وتطورت بينهما علاقة صداقة دافئة بمرور الوقت. وكان سميث يسافر فى رحلات متقطعة إلى إسرائيل للاطلاع والاستشارات وأحياناً كان يصطحب إيميلى أو أحد أبنائه معه للاستمتاع بالمرح وبالشمس، فيما يجتمع هو بميلتشان وببلومبيرغ نفسه.

وكما شهدت ديبورا لاحقاً حيث قالت «إن الدكتور سميث، وزوجته، وأبناءه، أصبحوا أصدقاء مقربين لزوجى ولى. تقابلنا عدة مرات فى إسرائيل وفى لوس أنجلوس عندما ذهبنا لحضور زفاف ابنته. وأشعر أننى أعرف الدكتور سميث بشكل جيد نتيجة لسنوات عديدة من العلاقة الحميمة».

وبمرور السنين، قام سميث أيضاً بتعيين ثلاثة من أبنائه فى شركة ميلكو، فى قسم الحسابات وفى قسم تكنولوجيا المعلومات لحواسيب المكاتب. وحاز أحد أبنائه على ميدالية أوليمبية فى الإبحار، وعملت ابنته بعدما أنهت الجامعة فى مدريد، إسبانيا، كمذيعة فى يونيفيجن، أكبر قناة متحدثة بالإسبانية فى الولايات المتحدة، والتى يمتلكها حاييم صبان صديق ميلتشان.

كانت عمليات سميث فى أغلبها ناجحة، لكن جهوده لتوقيع عقود استشارية مع الناتو ووكالة ناسا، والبنتاجون كانت مخيبة للآمال وغير مثمرة. وتمكن من توقيع عقود صغيرة قليلة لا تزيد قيمتها عن ٢٥ ألف دولار للعقد. ومن المحتمل أنه كان قد تم إدراج سميث فى القوائم السوداء بسبب واقعة الكرايترون فى عام ١٩٧٥، على

الرغم من أن تصريحه الأمنى لم يتغير.

وفى جهوده لتوسيع مجال شركته، بدأ سميث يعرض أغراض دفاع عسكريه إسرائيلية الصنع على الحكومة الأمريكية والشركات الخاصة، ولهذا الغرض طبع كتيبات فاخرة تروج لقائمة طويلة من المنتجات الإسرائيلية المتعلقة بالدفاع العسكرى. والتى استوردها من إسرائيل إلى الولايات المتحدة من دون عملية استخراج الرخص المُضنية. ولم تكن تلك العمليات بديلاً عن تدفق الطلبات المنتظمة الحساسة لميلتشان من الولايات المتحدة. وعلى أية حال، لم نسمع عن صفقات تصدير إسرائيلى عُقِدت عبر شركة ميلكو.

واستمرت طلبات ميلتشان للمواد الحساسة تتوالى، وببطء، وبمرور الوقت، عرفت شركة ميلكو كعميل شراء أساسى للاحتياجات العسكرية الإسرائيلية فى معظم الجهات التى كان منوطاً بها المعرفة فى وزارة الخارجية، والسى آى إيه، والبنتاجون، ووزارة التجارة. ولم يكن هذا غير متوقع بالمرة من جانب ميلتشان. فبعد كل شىء، كانت الفكرة هى العمل بشكل واضح للعيان، والمجازفة المحسوبة، وفى الأغلب بالتنسيق مع الولايات المتحدة. لكنه لم يكن سعيداً بالشهرة التى نالتها الشركة، وأصبح أكثر قلقاً من اسم الشركة، والذى كان يشير بشكل مباشر له. فبعد كل شىء، كانت فكرته عن الشهرة، هى ألا توجد على الإطلاق.

لم يتخيل ميلتشان ولا سميث أهمية طلبية الكرايترون الصغير الرخيص فى حياتيهما.

وإذ انغمس أرنون فى شبكة متنامية من المشاريع والأنشطة غير التقليدية، وصلت علاقته بزوجته لنهاية الطريق. ولم يحقق الانتقال إلى فرنسا الهدف المنشود، ولم يَعُدْ الحب الأصلى بينهما، واتخذا قرار الطلاق.

وخلال أشهر، دخلت امرأة سويدية جديدة «أولريكا» حياته، وأثناء أول ليلة لهما معاً، تفاجأ أرنون عندما عرف أنها من نفس مدينة «أُولا» وأنها تقيم فى الشارع ذاته الذى تقيم فيه وهو شارع جوتنبيرج، وأنهما لا تعرفان بعضهما، وتعجب أرنون لذلك بشدة.

واشترى شقة مريحة لبريجيت وللأولاد فى قلب باريس، على بعد مسافة قصيرة من برج إيفل، واشترى شقة لنفسه على مقربة منهم. ثم قضى الكثير من وقته فى باريس ليكون قريباً من أبنائه، وزاول جميع أعماله من هناك بينما كان يسافر بشكل متكرر إلى إسرائيل، والولايات المتحدة وإيران، وإلى وجهات عمل أخرى. وكانت إحدى تلك الوجهات لاس فيجاس، حيث أصبح مقامراً محترفاً، لدرجة أن فندق سيزار بالاس كان أحياناً يبعث له بطائرة خاصة لتقله وحاشيته لقضاء العطلات الأسبوعية فى المراهنات المرتفعة والاستمتاع بوقتهم. وذات مرة، أعطى فيشات البوكر المتبقية منه، والتى وصلت قيمتها لـ ٣٠٠ ألف دولار لشخص مجهول، وهو خبير تنمية إسرائيلى ويدعى ماشير تيبير، وكان قد تعرف عليه قبل ذلك ببضع ساعات، وأخبرنا تيبير قائلاً: لازمته بجوار مائدة البوكر حتى وافق على الاستثمار فى مشروع خاص بى. أظن أنه أعطانى المال لكى يتخلص منى فحسب.

واستثمر تيبير المال فى محل للملابس وأسماه تيد لابيدوس فى فندق سيزار بالاس. ثم تلقى ميلتشان بعد ستة أشهر شيكاً قيمته ٦٠٠ ألف دولار حصته فى تلك الشراكة، والتى كان ميلتشان قد نسيها. وكان هذا التصرف هو الذى دعم صداقتهما والتى لا تزال قائمة حتى يومنا هذا.